

# مستنفرات الجزيرة والشمالية: ماذا يَقْلَن عن دوافعهنّ؟

علا ركاب - إيمان صالح



## خلال

ثلاث سنوات، منذ نشوبها في الخرطوم صباح 15 أبريل 2023 ومن ثمّ تمدّد رقعتها في مختلف أنحاء السودان، تعيّن على الناس أن يخوضوا غمار الحرب بطريقة أو أخرى.

في 27 يونيو 2023، خلال خطابه بمناسبة عيد الأضحى، أطلق الفريق عبد الفتاح البرهان، القائد العام للقوات المسلحة السودانية، دعوةً إلى جميع شباب البلاد وكلّ قادر على الدفاع، «أن لا يتردّد أو يتأخّر بأن يقوم بهذا الدور الوطني في مكان سكنه أو بالانضمام إلى الوحدات العسكرية لنيل شرف الدفاع عن الدولة السودانية».

وقد لقيت الدعوة استجابة فورية من شباب كثير، اختار بعضهم الاستنفار في أماكن سكنهم فحملوا السلاح ضمن ما سُمّي لاحقاً «المقاومة الشعبية»، بينما اختار آخرون الالتحاق جنوداً بصفوف القوات النظامية. كذلك لقيت الدعوة استجابةً من شابات في ولايات مثل نهر النيل والجزيرة الشمالية.

وفي أغسطس 2023، انطلق في ولاية نهر النيل أول معسكر لاستنفار النساء وضّم أكثر من 200 سيدة وفتاة. وقد افتتحه وزير المالية بالولاية، محجوب السر، الذي شبّه المنخرطات فيه بـ«أخوات نسبية»، اللائي يُعيد اسمهنّ إلى ذاكرة السودانيات والسودانيين مشاهد استنفار النساء في معسكرات نظام الإنقاذ خلال عشرينيتها الأولى في حربها ضد الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون

قرنق، وسُمّين بهذا الاسم حينئذٍ تأسياً بإرث الصحابيتين نسبية بنت كعب وخولة بنت الأزور. وفي المقابل، استنفرت السودانيات في الجيش الشعبي من قبل، في ما عُرف بـ«كتيبة البنات»، عام 1986، في حرب جنوب السودان قبل استقلالها.

بعد المعسكر الأول في نهر النيل أفتتحت معسكرات أخرى لاستنفار النساء في مختلف ولايات البلاد، ولم تكن حصراً على المدن، إنما وُزعت على مختلف المناطق، وربما ضمّ المعسكر الواحد ما يفوق المائتي متدربة لكلّ دفعة. في بعض المدن الكبيرة، تعدّدت المعسكرات لتغطية الأحياء المختلفة، وعادةً ما تشارك بعض من المتخرجات في الدفعة في تدريب نظيراتهم من الدفعة اللاحقة.

يُثير انتشار هذه المعسكرات لاستنفار النساء في حرب 15 أبريل أسئلة متعلّقة بالدوافع: هل هي ضرورة استدعتها طبيعة الحرب نفسها؟ هل احتاجت النساء إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهنّ؟ أم أنها دعاية لأغراض سياسية؟.

## دوافعهنّ

يبحث هذا التقرير عن دوافع المستنفرات في حرب 15 أبريل في ولايتي الشمالية والجزيرة، في المدة من أواخر العام 2025 ومطلع 2026، وهو خلاصة دراسة ميدانية من 15 مقابلة أجرتها «أتر» في معسكرين للاستنفار في الولايتين اللتين رأت كلّ منهما

ومنحهنّ إحساساً بالاطمئنان لقدرتهنّ على درء الأخطار، كما ذكرت بعضهنّ أنهنّ شعرن بتعاضم إحساس الوطنية وحبّ البلاد. في بعض الحالات، امتدّ الأثر ليشمل الحياة المهنية أيضاً، إذ فكّرت بعضهنّ في الانضمام إلى الكلية الحربية لاحقاً أو العمل طبيبات وكوادر صحية بالمشافي العسكرية (السلاح الطبي).

وإلى حدّ ما، كان الشكل العام للتدريبات موحّداً؛ إذ ينقسم التدريب إلى جزئين: جزء أساسي يتعلّق باللياقة البدنية والبيادة، وآخر في أساسيات الأسلحة النارية، مثل تركيبها وتذخيرها والتصويب نحو الهدف. قد تظهر بعض الفروقات بين معسكر وآخر في التمويل؛ فإمّا أن يكون من الجهات النظامية فقط، بما يشمل الزي الموحّد للمُتدريبات وتكاليف الذخيرة، أو مشترك الطابع بين أهالي المنطقة (لجنة الحي مثلاً أو المحلية) والجهات النظامية بما يشمل اللجنة العليا للاستنفار. أجرت مراسلتنا «أتر» مقابلات مع عدد من المستنفرات، وهذا ما روين من قصصهنّ مع التدريب ودوافعهن وكيف أثر فيهن. وجميع الأسماء التي ذُكرت في المقابلات هي أسماء مستعارة.

### زينب: هي وابنتها

قالت زينب (46 سنة)، وهي خريجة كلية القانون وموظّفة بوزارة التنمية الاجتماعية، إنّ حياتها قبل الحرب كانت مُستقرّة وكان

للحرب وجهاً مختلفاً. لم تنجُ الولاية الشمالية من أثر الحرب لكنها ظلّت بمنجاة من نيرانها المُباشرة، بينما شهدت ولاية الجزيرة اجتياحاً غاشماً من قوات الدعم السريع لربوعها.

تعرّف التقرير عن كتب على بعض المُستنفرات في المعسكرين وخلفياتهنّ الاجتماعية ودوافعهنّ للاستنفار. تراوحت أعمار الشريحة الأكبر منهن بين 18 و22 سنة، وبعضهنّ في الثلاثينيات وقلّة كنّ في أعمار أصغر أو أكبر من ذلك. وأغلبهنّ طالبات بالمراحل الدراسية المختلفة (تعليم ثانوي، جامعي، فوق جامعي)، ونصف عددن تقريبا كنّ يسكنّ مع أسرهنّ في المناطق التي نزحن إليها بعد نشوب الحرب في الخرطوم، والنصف الآخر هنّ من سكّان تلك المناطق حيث أقيم المعسكران. منهنّ من دفعهنّ إلى الانخراط في تلك المعسكرات الخوف من اجتياح الدعم السريع لمدينتهنّ أو قرأهن، ومنهن من دفعتهنّ الرغبة في تعلم شيء جديد ومختلف مع توفر الوقت في ظل الانقطاع الدراسي، كما أفدن. وفي أحد المعسكرين، التحقت امرأة وطفلتها ذات الـ 14 سنة بدفعة المستنفرات، رغم أنّ المادة 38 من اتفاقية حقوق الطفل تمنع تجنيد الأطفال دون سن الـ 15 سنة.

وعن تأثير التدريب عليهنّ، أفادت أغلبية اللائي تحدّثن مع «أتر» بأنّ الانخراط في التدريب زاد ثقتهنّ في أنفسهنّ، وذكرت أخريات بأنه قد عزّز من قوة شخصياتهنّ

وعن ردود أفعال الناس حول إقامة معسكر للمستنفرات في المنطقة، تقول زينب إنَّ بعض الناس (من الأهل والأصدقاء) كانوا غير مطمئنين لانضمامهنَّ إلى المعسكر وشكَّكوا في قدراتهنَّ، لكنهنَّ استطعن إقناعهم لأنهنَّ كنَّ «مقتنعات بالفكرة».

بعد تجربة المعسكر تقول زينب إنَّ كلمة «الحرب» أصبحت عادية بالنسبة لها: «كلمة الحرب كانت تُخيفنا، بعد أن تدرَّبنا وعرفنا كيف نحمل السلاح ونضربه ونُفَرِّغُه، لم تعد الكلمة مخيفة، واطمأنَّا حتى على من حولنا، وأنا كنساء نستطيع القيام بالدور المنوط حسب قدرتنا من غير خوف».

وتضيف: «بإمكاني في المستقبل تغيير وظيفتي في وزارة التنمية الاجتماعية إلى القضائية أو وزارة الدفاع، لأنني حصلتُ على شهادات من التدريب، إضافةً إلى شهاداتي القديمة».

ورافقت لنا، الطالبة في المرحلة المتوسطة والتي تبلغ من العمر 14 سنة، والدتها زينب في الالتحاق بالمعسكر، بعد أن شعرت بفراغ شديد إثر توقُّف الدراسة وانضمام معظم الفتيات في المنطقة إلى معسكر الاستنفار، لكنها لم تدرَّب على السلاح لصغر سنِّها. تقول لنا: «لديَّ كثيرٌ من الصديقات في المعسكر، وأكثر ما يعجبني هو تدريب الخطوة المُعتادة». ضحكت لنا حين تذكَّرت كيف كانت حتى عهدٍ قريب تخاف لو رأَتْ شخصاً بريَّ عسكريٍّ في الشارع: «أصبحتُ

عملها يَسير على نحو طبيعي، وأناؤها الأربعة يدرسون في مراحل تعليمية مختلفة. بعد الحرب فقدَ ربُّ الأسرة عمله، ونزحت الأسرة من أم درمان إلى الولاية الشمالية، بينما استمرَّ راتبها الحكومي رغم توقُّفها عن العمل لفترة.

التحقت زينب بمعسكر التدريب بمنطقة نزوحها في الولاية الشمالية بالتنسيق مع قيادة الجيش في المنطقة ومسؤولين من الاستنفار الشعبي أو النفرة الشعبية، «بعد أن شعر الجميع بحاجتهم إلى التدريب».

وفصَّلت: «الدعم كان من الجيش في توفير الذخيرة وقدمت بعض الجهات الخيرية دعماً مادياً. أقيم المعسكر في الحي، وضمَّ عدداً من النساء والفتيات، حوالي 150 سيدة. أما المدربون فقد كانوا من أبناء المنطقة، ومدَّة التدريب حوالي أربعة أشهر، تبدأ من الساعة الواحدة ظهراً، ثم أصبح من الساعة الرابعة عصرًا، حتى غروب الشمس».

«كانت لدينا أوقات فراغ، وملاً التدريب زمننا وأضاف إلينا كثيراً. أكثر ما أحبه الببادة، كانت مفيدة ونفعتنا في أجسامنا باعتبارها مثل الرياضة»، تضيف زينب لـ «أتر».

علمت زينب بالمعسكر عبر النداء في الجوامع، فسجَّلت فوراً للانضمام، وتعرَّفت إلى شخصيات كثيرة في المنطقة عن طريق التدريب. تقول: «كان هناك ترحيب كبير بالفكرة، من لم يتمكنَّ من التدريب يتفرَّجَن عليه. وسارعت بعض البنات بالانضمام بعد أن رأيننا».

لا أخاف. فكّرتُ في الاستفادة من الاستنفار، وإن جاءني فرصة لأنضمّ رسمياً إلى الجيش فسوف أدرس في الكلية الحربية وأتدرب».

### آية: دراسة متوقّفة

من أولئك الفتيات تحت سنّ الـ 18 سنة، تحدثت آية إلى مراسلتي «أتر» معرّفة بنفسها وما دفعها للاستنفار رغم صغر سنّها: «أنا من الولاية الشمالية، عمري 16 سنة، نحن من سكّان المنطقة أصلاً، ولي أخت أكبر مني وثلاثة إخوة أصغر مني، ولست متزوجة». وتمضي في حديثها: «امتحنّت للشهادة الثانوية لكنّ الدراسة توقفت لفترة طويلة، كان من المفترض أن أكون في الصف الثاني أو الثالث الثانوي، لكنني حالياً أدرس في بداية الصف الأول الثانوي. أصبحت أعمارنا كبيرة وندرس في مراحل أقل في التعليم».

وأضافت: «سافرت أختي إلى الجامعة وبقيت أنا في الأعمال المنزلية مع أمي، كنتُ أحسّ بململ شديد والدراسة متوقّفة، وحينما أعلنوا التدريب انضمتُ مباشرةً لملء الفراغ، وكذلك أريدُ أن أفعل شيئاً للبلد».

علمت آية بمعسكر التدريب من خلال قروبات الواتساب، وكان جميع من حولها يتحدثون عن الاستنفار، فقرّرت أن تتدرب وصدقاتها جميعاً. تقول: «المعسكر قريب في الحلة، وهو المعسكر الثاني، الأول كان يضمّ 200 بنت وعدد دفعتنا أكثر من 100». وتضيف: «أهلي كانوا موافقين وداعمين، كما

أن زوجة عمي هي الأخرى انضمت، إضافة إلى قريباتي وصاحباتي وقد شجعهنّ أهلهنّ». وعن المعسكر تقول آية: «كان المُدرّبون جنوداً في الجيش من أبناء منطقتنا نفسها. وهناك معسكر منفصل للبنات وآخر للأولاد. درّبونا على القيادة وفكّ السلاح وتركيبه، لكن لم يتركونا نصوّب لصغر أعمارنا».

تعرّفت آية على صديقات جديدات من بنات المنطقة وبنات النازحين إليها لم تكن لتتعرف عليهنّ لولا تجربة المعسكر. تقول: «ثقّتي في نفسي زادت، كنت أريد أن أتمكّن من الدفاع عن نفسي وأهلي في حالة الحرب. ويُمكنني الانضمام إلى الجيش لو طلبوا مني أو اضطرّرت. لكنني أريد إكمال دراستي والالتحاق بكلية الطب».

### بسمات: وضعنا مُهدّد

في ولاية الجزيرة، وفي إحدى المدن التي كانت مُحاصرة حتى خروج الدعم السريع من ولاية الجزيرة، انخرطت بسمات في معسكر الاستنفار الذي أُقيم في منطقتها بتنسيق مشترك بين الجيش وأهل المنطقة، في العام 2023، بين أبريل شهر اندلاع الحرب في الخرطوم وديسمبر شهر اجتياح الدعم السريع مدن الجزيرة.

قِيلت بسمات ذات العشرين سنة في كلية الصحة العامة بجامعة الجزيرة، لكنها لم تبدأ الدراسة بعد: «كانت أسرنا مستقرّة والجميع مستغرقون في أعمالهم. وكانت

وعن تجربتها أخبرت بسمات «أتر» قائلة: «أضاف إليّ المعسكر صديقات جديديات، وقوى شخصيتي وثقتي في نفسي، وتعلّمت أشياء جديدة. وتغيرت فكريتي عن الجيش». وتضيف: «لم أكن أقدر أهمية عملهم في حياتنا، لكن عرفت مقدار تعبهم من أجل البلد». حازت بسمات على بطاقة «مُستَنفَرة»، وربما تنضمّ إلى الجيش بعد الحرب، رغم أنها خاضت التدريب لتدافع عن نفسها فقط.

### منار: نازحة مُستَنفَرة

أما منار (32 سنة) التي التحقت بمعسكر للتدريب في ولاية الجزيرة أيضاً، فتقول إنها كانت في الخرطوم لمّا اندلعت الحرب، وعاشت الرُعب المُصاحب للتجربة مثل كثيرين، وواجهتها أسئلة النزوح: «خرجنا دون أن نحمل شيئاً مما نملك، حتى وصلنا إلى الجزيرة، وجزءٌ من الأسرة كان مُستقراً بالأصل فيها، لكن أنا وجزءٌ من إخوتي كنا نعيش في الخرطوم لظروف العمل والدراسة». نشأت منار وسط 6 من الأخوات و3 من الإخوة، وتخرّجت في الجامعة وبدأت العمل في وزارة الصحة. تقول: «بعد العودة والاستقرار في الجزيرة، كنّا نعمل تطوعاً في مساعدة النازحين من الخرطوم في الإيواء وتوفير المساعدات وتوفير احتياجاتهم بالتعاون مع بعض المنظمات أو بالعون الذاتي». تضيف: «لاحظتُ جنابو زكية، وهي عريف بالشرطة من بنات المنطقة، أننا

حياتي قبل الحرب انتظاماً في التعليم فقط، ولا أعرف شيئاً غيره، لكن مع تدهور كلّ شيء بعد الحرب توقفت الدراسة، وهو ما دفعني لخوض تجربة المعسكر»، وتُضيف: «سمعنا بالمعسكر وأعجبنا الفكرة، خاصة أن الوضع في منطقتنا بالجزيرة كان مُهدداً حينها، فكان تدريبنا لزاماً لندافع عن أنفسنا وأهلنا إن واجهت منطقتنا هجوماً من الدعم السريع».

نشأت بسمات في مدينتها وسط خمس بنات دون أخ، هي الثالثة منهن، يَعبش مع أمهن. وبعد الحرب اضطرت إلى العمل كبقية أخواتها لتُعين أسرتهن في مصاريف البيت.

وعن المعسكر تقول: «لم تُصرف لنا ذخيرة، كان المسؤولون عنه من المحلية، ولم يكن المعسكر قريباً، لذلك كنّا نضطرّ إلى المشي إليه (كدّاري)»، وتُضيف: «في البداية لم نكنُ كثيراً لكن ازداد العدد تدريجياً، حتى وصل إلى ما يقارب 50 بنتاً. كان الناس مُتردّدين في انضمام بناتهم إلى المعسكر، لكنهم في النهاية ضمّوا بناتهم جميعاً، وحتى نساء الحي الأكبر سنّاً انضمّمن، وكانت تُدرّبنا ضابطة صف في الجيش برتبة صول اسمها نفيسة وهي من المنطقة نفسها».

كانت بسمات ورفيقاتها أول دفعة تدرّبت مع الجيش في المنطقة. وفي البداية تدرّبن على الدفاع عن النفس، بعدها انخرطن في تدريب عسكري منضبط، بحسب وصفها، مدّته شهر و45 يوماً، من الساعة الثالثة حتى الخامسة عصراً يومياً عدا أيام الجمع.

وترى منار، التي عملت من قبل في مستشفى عسكري، أنّ فرصتها للانضمام إلى القوات النظامية كبيرة لأنها بعد قضاء فترة المعسكر لن تحتاج إلى كثير من التدريب.

### رزاز: توجيه معنوي

لقد فاق مدى الحرب توقّعات رزاز (22 سنة)، وهي طالبة جامعية تدرس في كلية الموسيقى والدراما بقسم التمثيل والإخراج، إذ اعتقدت وكثيرين أنها لن تتجاوز أسبوعاً أو أسبوعين. نزلت رزاز وأسرته من أمدة إلى عائلتها الممتدة في الولاية الشمالية.

علمت رزاز مثل سابقاتها في التقرير، بإقامة معسكر لاستنفار الأولاد والبنات من نداءات الجامع، فانضمّت إليه، دافعها اكتساب الثقة والقدرة عن الدفاع عن نفسها وأهلها إذا ما هدّدت الدعم السريع الولاية الشمالية، وهو ما دفعهم إلى النزوح أول الحرب. بصّرتها عزيزة، المسؤولة عن المعسكر، وفتيات أخريات بالفكرة. ومع تشجيع الأسر في المنطقة البنات علي الانخراط في المعسكر، وجدن سناً قوياً. تقول: «تعلمت الصبر والثبات والمثابرة والانضباط وقيمة الوقت».

تقول رزاز إنّ المعسكر كان بقيادة جنابو عزيزة وضابط من الجيش وآخر من الشرطة، إضافة إلى مسؤول من المحلية، إضافة إلى أن كبار الشخصيات في المنطقة ساعدوا على تأسيس المعسكر ونموّه:

نشيطات ونُساعد، فاقترحت علينا فكرة التدريب، والبنات تحمّسن جداً للفكرة حتى النازحات منهن».

وعن المعسكر أخبرت منار: «نحن أول دفعة من البنات، وكانت مدّته 45 يوماً. وفروا لنا زياً مكوّنًا من طرّح وأحذية سبورت. وكان عددنا في البداية 28 بنتاً فقط مع المدرّبة جنابو زكية، ثم انضمت إليها شرطية برتبة عريف نزلت من الخرطوم، وبدأ العدد يزيد». تقول: «كان معسكر البنات منفصلاً عن معسكر الأولاد، واقتصرت التدريب على البيادات والتدريبات البدنية وطريقة حمل السلاح ومعرفة أجزائه وفكّه وتركيبه، من الساعة الثالثة حتى الخامسة عصرًا».

وعن قبول الناس في محيطها لفكرة الاستنفار أوضحت: «كان كثير من أهل المنطقة والأقارب والأصدقاء يرون أنّ التدريب فكرة إيجابية، وتساعد الناس إذا ما وقع المكروه، ليتمكّنوا من الدفاع عن أنفسهم وأسرهم. لكن مع ذلك كان هناك قليل من الناس المُثبّطين».

«لم يكن التدريب صعباً، على عكس توقّعاتنا، كنا نعتبره رياضة، وتعرّفنا على أناس أكثر ما كنّا نعرفهم»، تقول منار، ومن ثمّ تضيف: «عزّز التدريب اعتدادي بنفسني».

وتصف منار بتأثير كيف أنهن عندما كنّ على وشك الوصول إلى مرحلة «ضرب النار» وهي آخر مراحل التدريب، فوجئن باجتياح الدعم السريع لود مدني القريبة لمدينتهنّ.

| عدد المستنقرات (15) | مكان المقابلات   | الحالة الاجتماعية | المستوى التعليمي           | حالة التزوج       |
|---------------------|------------------|-------------------|----------------------------|-------------------|
| 10                  | الولاية الشمالية |                   |                            |                   |
| 5                   | ولاية الجزيرة    |                   |                            |                   |
| 3                   |                  | متزوجة            |                            |                   |
| 12                  |                  | متزوجة غير        |                            |                   |
| 3                   |                  |                   | فوق الجامعي/ موظفة         |                   |
| 5                   |                  |                   | طالبات جامعات              |                   |
| 4                   |                  |                   | طالبات في المرحلة الثانوية |                   |
| 3                   |                  |                   | طالبات في المرحلة المتوسطة |                   |
| 8                   |                  |                   |                            | نازحات من الخرطوم |
| 7                   |                  |                   |                            | من المنطقة        |

«القائمون من المعسكر من أبناء المنطقة. والمعسكر في موقع قريب يتوسط المنطقة، وكان منفصلاً عن معسكر الأولاد، وكان عدد البنات الملتحقات بالتدريب 250 إلى 300. يبدأ التدريب من الساعة الثالثة والنصف عصراً، وينتهي في الساعة والنصف مساءً. وكنا الدفعة الأولى وتعلّمنا التصويب بالكلاشنكوف، وخرّج المعسكر قناصات نجحن بامتياز».

وتدرّبت رزاز في معسكر أقيم للمرة الثانية وضمّت إلى درع النخيل - وهي قوات أسست في العام 2024 بجهود لجنة الاستنفار بمحلية مروى تحت إدارة الفرقة 19 مشاة - وأكملت تدريبها على القيادة وبقية الأسلحة مثل الطبنجة والقرنوف والأرربي جي والدانة.

ومثل قريناتها، تقول رزاز إنّ المعسكر عزّز ثقتها بنفسها وبثّ فيها دافعاً للحماس والوطنية، والانتصار على الخوف من اجتياح الدعم السريع لمناطقهم، بحسب وصفها. وترى أنّ التدريب سيكون مفيداً لها في مجالها بعد الحرب إن انضمت إلى وحدات التوجيه المعنوي في الجيش أو الشرطة، فكثيراً ما ينضمّ الموسيقيون والدراميون إلى أقسام التوجيه المعنوي أو سلاح الموسيقى، خاصة أنها تطرح من خلال الدراما حلولاً لقضايا اجتماعية. ■



السودان ومحيطه

مجلة تصدر أسبوعياً عن  
مركز سودان فاكس للصحافة



نعمل على السودان  
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،  
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:  
[atar@sudanfacts.org](mailto:atar@sudanfacts.org)

على WhatsApp أو Signal،  
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:  
+254743560204

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتر في السودان الرجاء مراسلتنا على:  
[atar@sudanfacts.org](mailto:atar@sudanfacts.org)

لزيرة موقعنا الإلكتروني:

[www.atarnetwork.com](http://www.atarnetwork.com)

 [@atarnetwork](https://www.instagram.com/atarnetwork)